محمد بن إبراهيم آل الشيخ

د. صالح بن عبدالعزيز بن محمد آل الشيخ
نائب وزير الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد

المقدمة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم؛ يهدون من ضل إلى الهدى ويبصرونهم من العمى، ويحيون بكتاب الله الموتى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه وكم من ضال تائه قد هدوه فما أحسن أثر على الناس.

وصلى الله على نبينا محمد المجتبى الأمين وآله وصحبه وسلم تسليمًا.

أما بعد؛ فإن الحديث عن العلماء - تبصيرًا بسيرهم، وتعريفًا بحياتهم، ونشرًا لفضائلهم، وإذاعة لمناقبهم - مما ينفع الأمة أكبر النفع، لأن فيه وَصْلَ الحاضر بالماضي، وحثَّ المتأخر على الاقتداء بسجايا الخير التي تحلوا بها، وفيه معرفة طلبة العلم بحال علمائهم وسيرتهم وفقههم وعلمهم وتقواهم وصلاحهم فينهلوا مما نهل منه أولئك العلماء حتى يلحق الركب بالركب ويقعَ الحافرُ على الحافر، وفيه تعريف أجيال الأمة المتلاحقة بأن أمتهم ودعوتهم ما وصلت إلَى علو الشأن إلا بتوفيق الله وإعانته ثم بجهد وعمل بَذَلَه من تَقَدّمهم؛ فإن تواصل العمل تواصلت الريادة، وإلا فالنقص ثم الزوال، وفي الكلام عن العلماء فوائد لا تحصى في مثل هذه المقدمة.

من أولئك العلماء العاملين، والجهابذة المحققين والأئمة المجاهدين الذين أثروا في حياة بلادنا والناس تأثيرًا، تعليمًا ودعوة، وقيادة وقدوة؛ العلامة الإمام محدث

الفقهاء، وفقيه المحدثين، وداعية التوحيد مفتي الديار السعودية الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن الإمام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب التميمي النجدي.

مولده - نشأته - أسرته:

ولد الشيخ -رحمه الله- في حي دخنة من مدينة الرياض في شهر الله المحرم سنة ١٣١١هـ، وأخواله " الهلالي " أسرة تسكن عرقة، نشأت هذا المولود في بيئة علمية ومجتمع زكي، فأبوه وأعمامه أهل علم ودعوة وجهاد. وصف ذلك الشيخ عبدالله بن بسام فقال: " كان مولده في بيت علم وفضل وزعامة دينية، فنشأ على عادة أهله وآبائه محبًّا للعلم طموحًا إلى الفضل ".

وينشأ الناشئ يقتبس من أخلاق وأوصاف من حوله، فوالد الشيخ هو الشيخ الورع إبراهيم بن عبداللطيف قاضي مدينة الرياض، وله رسائل وفتاوى، كان -رحمه الله- متميزاً بالعدل الظاهر في قضائه ومقابلة الخصوم، وكان ناظمًا للشعر مجيدًا له كأبيه عبداللطيف.

وأما أعمام الشيخ محمد، فأكبرهم الشيخ عبدالله بن عبداللطيف عالم نجد بعد أبيه، بهر الرجال بحنكته وعقله، وأدهشهم بعلمه وفضله، هابه أمراء المدن والأقاليم الذين عقبوا آل سعود فيما بين الدولتين السعودية الثانية والثالثة، فأظهروا محبته وأكرموه، فما حل ببلد ولا قرية إلا نشر دعوة التوحيد والعلم النافع ثم رجع إلى الرياض، ثم لما قدم الملك عبدالعزيز -رحمه الله- الرياض كان سنده وعضده بعقل وحكمة؛ بل إن كثيراً من جند الملك عبدالعزيز كانوا من المتأثرين بالشيخ المتخرجين في حلق علمه ومدرسته.

وكذلك بقية أعمامه كانوا أهل علم وفضل كالشيوخ محمد بن عبداللطيف وعبدالعزيز وعبدالرحمن وعمر، وصفهم الواصفون بنعوت أشبهوا بها الأوائل سمتًا وهديًا وعبادة وصلاحًا وعلمًا، -رحمهم الله-.

نشأ الشيخ في هذه الأسرة فلا غرو أن أثرت فيه، فتوجه بتوفيق الله من أثر هذه البيئة والمجتمع الذي حوله إلى العلم قابسًا من عقل ذوي العقل، وتقى ذوي التقى، وغيرة ذوي الغيرة وكلهم ذاك الرجل، فطلب العلم على قاعدة الدين والعمل والعقل والغيرة لله فكان ذلك معلمًا بارزًا لنبوغه وتهيُّؤه للقيادة والريادة.

ولما بلغ السابعة من العمر أي سنة ١٣١٨هـ شرع بتعلم القرآن وتجويده نظرًا على المقرئ ذي الصوت العذب المؤثر عبدالرحمن بن مفيريج، فأجاده، نظرًا، ثم ابتدأ حفظه في سن الحادية عشرة، وتعلم الكتابة وكان إذ ذاك مبصرًا، وكتابته في صغره حسنة على أصولها كما ينبئ عن ذلك ورقة فيها كتابته إذ ذاك.

بعد هذا الأساس الأول لمن يريد طلب العلم الشرعي بحق - أعني حفظ القرآن - شرع يقرأ على شيوخه فكان أولهم والده الشيخ إبراهيم، فقرأ عليه في مختصرات رسائل أئمة الدعوة -رحمهم الله-، كان يحفظ المتن ثم يقرؤه على والده ثم يشرح له والده مايفهمه مرامي كلامهم، وأصول مسائلهم، وهكذا ينبغي أن يكون التوحيد هو أول مُتَعَلَّم، وإنما يفهم ويضبط بضبط متونه قبل شروحه، إذ من حفظ وضبط المتون- حاز الفنون.

ولما بلغ قريبًا من السادسة عشرة مرض بالرمد في عينيه، وطال معه إلى قرابة سنة، حتى كفَّ بصره عوضه الله الجنة.

بعد هذا شرع في حفظ القرآن وتثبيته وتنوع القراءة على شيوخه، كما سيأتي فيما بعدُ.

وفي السادس من ذي الحجة سنة ١٣٢٩هـ توفي والده عن عمر يقارب ٤٩ سنة إذ مولده سنة ١٢٨٠هـ وكان للشيخ إبراهيم أربعة أبناء كبيرهم عبدالله (١٣٠٥-١٣٨٦هـ) ثم محمد ثم عبداللطيف (١٣١٥-١٣٨٦هـ) ثم عبدالملك (١٣٢٤-١٤٠٤هـ)، وكلهم عُرف بالعلم والحلم والسداد -رحمهم الله- أجمعين.

فكان الشيخ -رحمه الله- لصغار إخوته حانيًا ومربيًا ومعلمًا.

تعلمه - شيوخه:

جَدَّ الشيخ في تلك السن المبكرة على طلب العلم، فتنقل بين علماء بلده يأخذ عنهم العلوم الشرعية واللغوية، فأخذ عن كل شيخ من شيوخه العلوم التي يدرسها، وبالأخص ما يتميز به كل شيخ من العلوم، ولهذا برع فيما درس لبراعة شيوخه وحسن استعداده العلمي والفطري؛ ففي التوحيد صارت له يد التحقيق، وفي الفقه رسخت قدمه في الاجتهاد، وفي العربية وعلومها صار معلمها الشارح لها أحسن شرح وهكذا في سائر العلوم، ولا غرو أن كان كذلك إذ إنه تتلمذ لشيوخ برعوا في علومهم، وهم:

١- والده الشيخ إبراهيم (١٢٨٠-١٣٢٩هـ).

٢- عمه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف (١٢٦٥-١٣٣٩هـ).

٣- الشيخ النحوي الفرضي الفقيه حمد بن فارس (١٢٦٣-١٣٤٥هـ).

٤- الشيخ المحدث الفقيه سعد بن عتيق (١٢٧٩-١٣٤٥هـ).

٥- الشيخ الفرضي عبدالله بن راشد (وفاته ١٣٣٩هـ).

٦- الشيخ الفقيه محمد بن محمود (١٢٥٠-١٣٣٣هـ).

قرأ على والده أصول التوحيد ومختصراته، والفرائض، ثم توسّع في الفرائض على الشيخ عبدالله بن راشد فقرأ عليه ألفية الفرائض.

وقرأ على عمه كتبًا كثيرة حفظًا، منها كتب العقائد والتوحيد ككتاب التوحيد وكشف الشبهات وثلاثة الأصول ونحوها، وبقية كتب أئمة الدعوة، وقرأ الواسطية والحموية لشيخ الإسلام ابن تيمية، وحين يقال: قرأ فيعني حفظ غالبًا، وفهم ذلك وجوّده.

وقرأ في الفقه مختصراته: أولاً على الشيخ حمد بن فارس فحفظ زاد المستقنع، ثم قرأ على الشيخ محمد بن محمود ثم الشيخ سعد بن عتيق، وكان هؤلاء الثلاثة ممن برعوا في الفقه وحققوا مسائله، وضبطوا غرائبه.

وأما في الحديث؛ فقد حفظ بلوغ المرام وقريبًا من نصف « منتقى الأخبار »

للمجد ابن تيمية وقرأهما على عمه الشيخ عبدالله، وكرر قراءة بلوغ المرام على المحدث الشيخ سعد بن عتيق وقرأ عليه ألفية العراقي.

وقد أُعطي إجازات في الحديث متنوعة، وروى بأسانيده عدداً من الأحاديث إلى رسول الله ﷺ بسماع لا إجازة، ولولا خشية الإطالة لسقت ذلك مفصلاً.

وأما في علوم العربية؛ فقد حفظ من متونها ما به تثبت القدم، ويرسخ الفهم، فقرأ الأجرومية، وملحة الإعراب للحريري، وقطر الندى لابن هشام، وألفية ابن مالك المشهورة، قرأ هذه المتون على العلامة النحوي الحليم المتورع الفقيه الشيخ حمد بن فارس.

وقد دَرَّس الشيخ بعد ذلك هذه المتون النحوية فبرز في ذلك.

نعم.. إن للأخذ عن الشيوخ فوائد مع الحصيلة العلمية، فالتلميذ يقبس من أخلاق شيوخه ويتأثر بسجاياهم والخصال الجميلة التي يتحلون بها.

ولا غرو أن رأينا شيوخ الشيخ محمد بن إبراهيم متنوعين فيما منحهم الله به، فها هو الشيخ عبدالله عمه جمع إلى العلم الدهاء والعقل وحسن السياسة والقيادة، والشيخ سعد بن عتيق جمع إلى العلم الصدع بالحق والقوة فيه، والشيخ حمد بن فارس جمع إلى العلم الحلم العجيب والورع عن المشتبهات، والتوقف عن المزلات.. وهكذا، من نظر في خصال الشيخ وشخصيته وبنيته العقلية والخُلُقية والعلمية كاد أن يجزم أنه جمع المحاسن التي تفرقت في شيوخه، وتحلى بالفضائل التي تبددت في غيره وليس في هذا مبالغة ولكن من عرفه علم ما ذكرناه.

إخوانه - زملاؤه:

سبق أن ذكرت أن للشيخ ثلاثة من الأخوة هم الشيخ عبدالله؛ كان إماماً لمسجد ابن شلوان في الرياض وكان - إضافة إلى علمه - متميزاً بصفات خلقية حميدة؛ كلين العريكة، وطيب المعشر، وضبط الحديث، وحسن الخلق، وكان من العارفين بالأنساب الضابطين لها، وكان إخبارياً ثبتاً في حديثه، والشيخ عبدالله أسن من

الشيخ محمد -رحمهما الله-، وقد كان الشيخ ينيبه أحياناً لخطبة الجمعة.

والشيخ عبداللطيف كان حليف الود للشيخ محمد من صغره، كان مرافقاً له في ذهابه وإيابه- غالباً- قريباً منه، وكان معيناً له في تحضير الدروس، والشيخ عبداللطيف كان -إضافة إلى علمه الشرعي- من الأدباء الشعراء، والنحويين الفرضيين، فله الشرع الرائق المحفوظ، وقد درّس الطلاب مع الشيخ محمد ونيابة عنه في فنون العربية والفرائض وغيرها.

وكان متميزاً ببذل نفسه للناس يخدم هذا، ويكتب لذاك، ويشفع لهذا ويعطي ذاك، وربما أرهقه الناس بما يرغبون فيه وهو صابر عليهم، فربما خرج من المسجد في اليوم الحار فأمسك به ذوو الحاجات فيقضي لهم ما يقدر عليه من كتابة وغيرها ويدوم ذلك الساعة وأكثر، وهم وقوف في الحر فيما بين المسجد والبيت، هكذا حدثني من رأى ذلك.

ومحبةُ الشيخ -رحمه الله- لأخيه تظهر في أبيات إخوانية نظمها الشيخ محمد وأرسلها للشيخ عبداللطيف لما سافر في مهمة شرعية، قال فيها:

فـإذا أنخـتُـم بالفنا ولقيـتـمـوا
شقيقي حليف الود مذ هو صغير
فقولوا له يهدي السلام مضاعفاً
إليك محب في هواك أسيـر
ويهدي تحيات كأن أريجها
لدى النشر يا عبداللطيف عبير

إلى آخرها...

والشيخ عبداللطيف قد تولى مناصب شرعية آخرها نائب رئيس الكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام حالياً).

وأما الشيخ عبدالملك فهو الخيِّر الصامت، الوقور اللين، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر جمع إلى علمه من صفات الخير وبذل المال والمعروف ما يَشْهد به

له من عرفه، كان قريبًا من الشيخ وصحب الشيخ محمدًا في سفره إلى (الغطغط) لما أقام بها ستة الأشهر للدعوة والتعليم والقضاء، وكان يكتب أحيانًا للشيخ، فهو بمثابة الابن لأخيه الأكبر.

وكان -رحمه الله- رئيسًا لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المنطقة الغربية.

أما زملاؤه؛ فأخص منهم الشيخ عبدالعزيز بن صالح المرشد المولود سنة ١٣١٣هـ الذي كان رفيقًا للشيخ في طفولتهما، وفي شبابهما، وفي طلبهما للعلم، طلبًا سويًّا، وتنقلا بين الشيوخ سنين. كما حدثني أنه استأجر هو والشيخ بيتًا صغيرًا، وضعا فيه كتبهما، استأجراه للتفرغ فيه للمطالعة فكانا يأويان إليه يحفظان ويدرسان ويتذاكران، وكانت الأجرة سبعة ريالات عربية.

الشيخ عبدالعزيز بن صالح -رحمه الله- إذا جلست معه ذكرت السلف، ورأيت الزهد والتقوى، والعلم والورع، والحكمة والأخبار، وأحسبه من الزاهدين العلماء، له لهج بالدعوة، دعوة التوحيد، ومحبة لأهلها، حلقة علمه بعد مغرب كل يوم دامت عقودًا من الأعوام، وليت المقام أوسع من هذا لأذكر ما أعرفه عنه فهو عَلَمٌ قلَّ من يعرف أحواله وخصاله.

دامت صحبته وزمالته للشيخ محمد حتى وفاته، وقد ذكر لي أنه ما ترك الشيخ محمدًا في دعائه أبدًا في صلاة الليل (يعني آخر الليل)، لأنها صحبة دين ومحبة لله -رحمهما الله-.

حياته العلمية، ودروسه المنهجية:

توفي الشيخ عبدالله بن عبداللطيف وكان كبير علماء الرياض بل نجد، وقد أوصى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن -رحمه الله- عند وفاته بالشيخ محمد بن إبراهيم، متوسمًا أنه سيكون له شأن، وكان الشيخ محمد إذ ذاك ابن ثمان وعشرين سنة، فقبل الملك الوصية، وكان الشيخ محمد ينوب عن الشيخ عبدالله في إمامة

مسجده في آخر أيامه، فلما توفي لم يصل الشيخ محمد، وكان مما بلغني أنه قال: إن هذه وظيفة شرعية وكان صاحبها منيبًا لي فلما توفي فلا وكالة، وهي راجعة إلى الإمام، فلم يصل بالمسجد حتى أتاه تكليف بذلك من الإمام وهو الملك عبدالعزيز -رحمه الله-، وتلك كانت بداية عقل وفقه وريادة وقيادة.

صار الشيخ محمد إمامًا لمسجد الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب المعروف في حي دخنة بالرياض - وهو المسمى الآن مسجد الشيخ محمد بن إبراهيم - فابتدأ فيه بعض الدروس العلمية، في مختصرات التوحيد ونحوها، وكانت دروسه تزداد في قوتها ومنهجيتها، حتى بلغت أوجها فيما بين سنة ١٣٥٠-١٣٧٠هـ، والسنون العشر الأخيرة متميزة بقوة علمية أبهرت الناس إذ ذاك، ولم يزل على دروسه حتى سنينه الأخيرة من عمره المبارك -رحمه الله-، وقد ذكر تلامذة الشيخ -رحمه الله- وصفًا لدروسه، فقال الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن قاسم: " كان يجلس ثلاث جلسات منتظمة:

فالأولى: بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس.

والثانية: بعد ارتفاع الشمس مدة تتراوح ما بين ساعتين وأربع ساعات.

والثالثة: بعد صلاة العصر.

وهناك جلسة رابعة لكنها ليست مستمرة، وهي بعد صلاة الظهر.. ".

قال ابن قاسم:

" كان رحمه الله ينقطع بعد المغرب لمطالعة دروس الغد في الكتب التي كانت تدرس بعد الفجر، ومنها: الروض المربع، وسبل السلام، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك وما يعين عليها من المراجع.

وفيما يلي عرض للكتب التي كان يقوم رحمه الله بتدريسها:

١- بعد صلاة الفجر: ألفية ابن مالك مع شرح ابن عقيل، وزاد المستقنع مع شرحه الروض المربع، وبلوغ المرام والأجرومية والملحة وقطر الندى، وأصول الأحكام والحموية والتدمرية ونخبة الفكر.

الثلاثة الأول مستمرة وكان يقوم بتدريسها على ترتيبها المذكور، أما في باقي الكتب فبالتعاقب على فترات مختلفة طيلة أيام تدريسه.

٢- بعد شروق الشمس: يدرس في العقائد كتاب التوحيد، وكشف الشبهات، وثلاثة الأصول، والعقيدة الواسطية باستمرار، ومسائل التوحيد مسائل الجاهلية، ولمعة الاعتقاد، وأصول الإيمان على فترات، وفي الحديث: الأربعين النووية، وعمدة الأحكام باستمرار، وفي الفقه آداب المشي إلى الصلاة، وقد يدرس غيرها، لكنه نادر.

وبعد الانتهاء من هذه المختصرات تقرأ المطولات ومنها: فتح المجيد، وشرح الطحاوية، وشرح الأربعين النووية، وصحيح البخاري، وصحيح مسلم، والسنن الأربعة، ومؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير دون استثناء، وكل ما جد من كتب السلف والمحققين من العلماء، ولكنها على فترات يتروواح ما يقرأ منها في اليوم ما بين خمسة عشر غالبًا.

٣- بعد صلاة الظهر، ويدرس فيه: زاد المستقنع بشرحه، وبلوغ المرام.

٤- بعد صلاة العصر، ويدرس فيه: كتاب التوحيد وشرحه، وقد يقرأ في مسند الإمام أحمد، أو مصنف ابن أبي شيبة، أو الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح، أو نحوها [١]. هـ هذا ما وصفه الشيخ ابن قاسم.

وهذا الوصف يمثل فترة من عمر الشيخ وهي في الغالب ما بعد الستين، وقد ذكر لي بعض طلبة الشيخ أن تحضيره للدروس كان بعد العشاء، وبعد المغرب ربما قرئ عليه في كتب خاصة لا يحب أن يسمعها كل أحد، فقد حدثني الشيخ حسن ابن مانع أن الشيخ محمدًا اختصه بحضور بعد المغرب، قال: فكان يقرأ عليه في (معجم الأدباء) لياقوت الحموي.

والأخبار عن دروسه كثيرة لكن اخترت كلام الشيخ ابن قاسم؛ لأنه يمثل وصفًا جيدًا لفترة سنين من عمر الشيخ -رحمه الله-.

وهذه المنهجية في التدريس هي التي تخرج العلماء، حفظ للمتون وبيان وشرح

لها، وضبط للأصول، ومعرفة الأدلة، فبهذا تبنى القواعد العلمية الراسخة للمتعلمين، أما القراءة في المطولات دون إحكام للأصول والمتون فعلى أي أس تبنى، وعلى أية قاعدة ترفع؟.

فلا بد للمعلمين والمدرسين من النظر في هذه المنهجية، وقد تمثلت في عمل الشيخ إلى تقسيم الطلاب إلى ثلاث طبقات؛ مبتدئون ومتوسطون ومنتهون.

ولكل ما سيناسبه من المتون والكتب، ولا يخلط بين طبقاتهم حتى لا يضعف العلم عندهم جميعًا.

قال الشيخ محمد بن قاسم: كان الشيخ " يحرص جداً على أن يحفظ جميع الطلاب المتظمين المتون ولا يرضى بنصف حفظ، ولا ينتقل الطالب من متن إلى متن أطول منه إلا بعد حفظ الأول وفهمه، ولذا كان الطالب المجد منهم يتخرج في سبع سنوات " ا.هـ.

منهجه في التعليم:

كان للشيخ -رحمه الله- منهجية جعلت الطلاب في قوة علمية مؤتلفة غير مشتتة، ففي التوحيد كان اهتمامه بكتبه التأسيسية التي تبين العقيدة الحقة بأدلتها، وكان لا يذكر الخلاف في الاعتقاد، فلا يعرج على مذاهب الخرافيين والمبتدعين وشبههم إلا إذا دعت الحاجة، بينما تجد أكثر التفصيل والتدليل على معتقد أهل السنة.

وهذا - ولا شك - يعطي قوة علمية استدلالية، وثباتًا في موقف الحق، وعدم تشوش الأذهان بكثرة الأقوال المبتدعة، وهذا لأجل أن المبتدعة وأقوالهم لم تكن مشتهرة، فلا يحتاج إلى الكلام المطول عليها.

وأما في الفقه؛ فقد جعل دروسه منبثقة من متون الفقه الحنبلي، ومتونه محررة الصور مدققة اللفظ، تفتق ذهن الطلاب، وتقوي إدراكهم الفقهي فاعتماد متن لمذهب هو خير طريقة لتحصيل الفقه، فبه يبنى الذهن الفقهي، وبه تؤسس قواعد

التصور للمسائل الفقهية ويأتي بعد ذلك التفريع والتدليل وذكر الخلاف والترجيح فتكون معرفة الأقوال بعد إحكام الأصول وضبط تصور المسائل، وعلى هذا كانت دروس الشيخ -رحمه الله-، فقد كان يعرض للمتن وهو (زاد المستقنع) بشرحه الروض المربع، فيبين عبارة المتن بدقة، ووضوح عبارة، ويصور المسألة تلو المسألة بحيث لا تشتبه مع نظيراتها في ذهن الطلاب، ولا يبدأ بالاستدلال أو ذكر الخلاف كما يفعل بعضهم في الجامعات؛ بل إحداث تصور المسائل كان هو المطلب الأول.

ثم يذكر الدليل مع وجه الاستدلال، أو التعليل، أو إرجاع حكم المسألة إلى أصل أو قاعدة أو نحو ذلك من الحجج، وربما ذكر الخلاف في بعض المسائل إذا كان الخلاف فيها قويًا، أو كان مشتهرًا بين الناس، أو كان هناك حاجة لبيانه، وغالبًا ما يذكر اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وأئمة هذه الدعوة -رحمهم الله- تعالى.

وأما مطولات الفقه والشروح فلم يكن يفصل الكلام عليها بنحو ما سلف، ولكن يذكر بعض ما يحتاج إلى إيضاحه.

وهذه هي الطريقة النافعة التي درج عليها علماؤنا السابقون، وبها صعد في مدرج التفقه فتام نفعوا العباد والبلاد.

تلامذته:

كان الشيخ -رحمة الله عليه- أمة في قلب رجل، وكان جامعة متعددة الكليات فلا غرو أن تخرج على يده المحدث، والفقيه، والأديب، واللغوي، والقاضي والداعي، صدروا عن رجل واحد لأنه - بتوفيق الله له ولهم - بذل علمه لهم ليله ونهاره.

ولقد تتلمذ على الشيخ عدد لا يحصون كثرة، تولوا التدريس في المعاهد والكليات، وولوا القضاء، وولوا الفتيا، وولوا التوجيه والإرشاد، وولوا الدعوة والإصلاح، وقد أحصي من أبرزهم قرابة مئة وتسعين تلميذًا، نذكر هنا بعض أكابر

طلبته، كإشارة لا حصر، التسعة الأول على ترتيب العلامة الشيخ ابن بسام لهم:
١- سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل باز - يحفظه الله -.
٢- سماحة الشيخ عبدالله بن محمد بن حميد -رحمه الله-.
٣- سماحة الشيخ عبدالرحمن بن قاسم -رحمه الله-.
٤- الشيخ عبدالله بن محمد القرعاوي الداعية المشهور -رحمه الله-.
٥- الشيخ عبدالعزيز بن ناصر الرشيد -رحمه الله-.
٦- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله-.
٧- الشيخ عبدالملك بن إبراهيم آل الشيخ -رحمه الله-.
٨- الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ - يحفظه الله-.
٩- الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ - يحفظه الله-.
١٠- الشيخ صالح بن غصون - يحفظه الله -.
١١- الشيخ صالح بن محمد اللحيدان - يحفظه الله -.

وغيرهم كثير، وقد وصفه الشيخ عبدالفتاح أبو غدة الحلبي في (فقهاء معاصرون) بقوله: " كان الشيخ (أمة) في جسد رجل، وكان مسجده (جامعة) في قلب نجد، ملأت بلاد نجد وغيرها علمًا، وأنارتها بعلوم الشريعة، قبل أن تبنى مدارس التعليم والمعاهد والكليات والجامعات، التي هي أثر من آثار نهضة الشيخ العلمية؛ رحمه الله تعالى وجزاه عن العلم والدين والإسلام خيراً.

وكانت علوم الشيخ عيونًا صافية متدفقة، أروت الظماء، وأنشأت العلماء، وأسس الشيخ بجهوده المخلصة لنهضة علمية كبرى، فقد تخرج على يده أعداد كبيرة لا تحصى من العلماء والمحصلين، وحسبك أن تعلم أن جل أكابر علماء المملكة اليوم هم من تلاميذه، وهم الذين يشغلون أعلى المناصب العلمية والدينية، ويملأون مناصب القضاء والإفتاء والتدريس والوعظ والإرشاد والدعوة إلى الله تعالى " اهـ.

أخلاقه وشمائله:

وصف شيئًا من شمائله وأخلاقه الشيخ محمد بن قاسم فأجمل ما ذكر في الآتي:

١- الحافظة النادرة: كان يحفظ المتن للقراءة الثالثة، وربما الثانية، وكانت المعاملة الطويلة التي تبلغ (٣٠٠ صفحة) تقرأ عليه ثم يملي ما يرى مستحضراً كل ما مر فيها من الجزئيات، ولم يكن غريبًا أن يدل القارئين على مواضع الأبحاث في كتبها، ذاكرًا رقم الصفحة أحيانًا.

٢- رزق الذكاء و(الفراسة): فكان يدرك حقيقة ما يعرض عليه من المشكلات فيكشف ما وراءها من الدوافع ببصيرته الفذة، ولم يكن ينطلي عليه كيد أو احتيال، وحياته كلها أمثلة من هذا النوع فلسنا بحاجة إلى ضرب الأمثلة لها، فأكثر العارفين له يدركون ذلك.

٣- الإخلاص في العمل، فلم يكن طالب شهرة، ولا باحثًا عن سمعة، ولم يعرف عنه أنه تحدث عن أعماله على جلالتها وكثرتها.

٤- طهارة قلبه، فكان لا يحمل ضغينة على من أساء إليه، ولا ينتقم من أحد ناله بأذى، وله في ذلك أحوال عجيبة.

٥- كان شجاعًا قويّ الشكيمة، لا يتردد في إعلان الحق أيًا كان المخاطب به.

٦- كان يكره المتملقين والمتزلفين وله في ذلك مواقف يحفظها التاريخ.

٧- كانت له الهيبة العظيمة في نفوس الناس، يحسب محدثه الحساب الدقيق حتى لا يزل في كلمة أو يخطئ في فكر، ومع ذلك كان أنيسًا عند مخالطته، أليفًا لمعاشرته، لا يتصف بشيء من الفظاظة أو الغلظة.

٨- كان متنزهًا عن الغيبة: عرف بذلك منذ حداثة سنه حتى فارق الدنيا، ولم يكن يسمح لأحد أن يتحدث في مجالسه بمثالب الآخرين أو تنقصهم؛ بل كان يزجر من حاول ذلك.

٩- ومما لا يعرفه كثيرون عنه ما يتصف به -رحمه الله- من العفة والتورع عن أخذ

ما ليس له أو ما يرى فيه شبهة، فكان حريصًا على أن لا يدخل نفسه في مداخل مشتبهة.

١٠- كان من أهل الخشية، كثيراً ما يلهج بذكر الله والاستغفار، وتغرورق عيناه بالدموع حين يكون مناجيًا لله، أو يسمع بعض ما يحرك القلوب، وقد صحبته - القائل هو ابن قاسم - زمنًا طويلاً، وهو يقوم ما يقرب من ساعة ونصف آخر الليل لا يترك ذلك.

مؤلفاته:

أملى الشيخ رحمه الله كتبًا ورسائل وفتاوى متنوعة، وكانت حياته مملوءة بالتعليم والدعوة والمهمات الكبار التي أنيطت به من فتوى ومتابعة القضاء، وتمييز الأحكام، ومع هذا فقد كان له آثارٌ علمية منها:

١- فتاواه التي طبعت مع رسائله في ثلاثة عشر جزءًا قام بجمعها وإعدادها للطبع وترتيبها الشيخ محمد بن قاسم أثابه الله، وقمتُ بتحقيقها والتعليق عليها، يسر الله طبعها.

٢- رسائل متنوعة طبعت في حياته ثم أدرجت مع مجموع فتاواه ورسائله، ومنها:

أ - الجواب الواضح المستقيم في التحقيق في كيفية إنزال القرآن الكريم.

ب- تحكيم القوانين.

ج- نصيحة الإخوان في الرد على الشيخ ابن حمدان.

د - الجواب المستقيم في نقل مقام إبراهيم.

٣- كتاب تحفة الحفاظ ومرجع القضاة والمفتين والوعاظ: وهو كتاب في الحديث، جمع فيه المفتي -رحمه الله- ما يقرب من ألف حديث، قال -رحمه الله- في (مقدمته):

"هذا مختصر يحتوي على ألف حديث صحاح اقتصرت فيه على ما خرجه

الشيخان أو أحدهما، عدا أحاديث صحيحة يسيرة جداً خرّجها غيرهما، وقد أتى بحمد الله على عامة أبواب الدين من أصول وفروع ودعوات وأذكار، ومواعظ وحكم وآداب وغير ذلك مما ستقف عليه في مواضعه... » اهـ، والكتاب في مجلد متوسط.

وهذا الكتاب متميز عن غيره بمميزات، وقد ظهر في انتقاء الشيخ للأحاديث الفقه والاستنباط، وليس هذا موضع بسط ذلك، والكتاب مخطوط بعدُ يَسَّر الله طبعه، وقد جاء في خاتمته: « وقع الفراغ من تأليف هذا الكتاب المبارك خامس شهر ذي الحجة سنة أربع وسبعين وثلاثمائة وألف (١٣٧٤هـ) ووقع الفراغ من تبييضه آخر ذي القعدة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة وألف من هجرة من له العز والشرف صلى الله عليه وسلم بمكة المكرمة زادها الله تشريفًا وتكريمًا على يد جامعه الفقير إلى عفو ربه محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ وصلى الله على نبينا محمد وآله صحبه وسلم » اهـ.

٤- نظم علمي لمقدمة كتاب (الإنصاف) للمرداوي، وهو من كتب المذهب الحنبلي المشتهرة، جاء مؤلفه في أوله باصطلاحات، وبذكر للكتب التي نقل منها، فنظم جل المقدمة سماحة المفتي -رحمه الله-، قال فيها:

حمداً لمن فقهنا مصليا
على محمد وبعد فادريا
مراجع الإنصاف من متن ومن
شرح مع مؤلفيها واستبن
وبعضها نواقص أعرضتُ
عن ذكر نقصهن واختصرتُ
نظمتها من خطبة المؤلف
مقدمًا ذكر المتون فاعرف

منهن متن الخــرقي مــا أجـــمله
شـــافي أبو بكر مع التنبـــيــــه له
تهـذيـب ابن حـــامـد للأجــــوبه
وابن أبي مـوسى للإرشــاد انتـبـه

إلى آخر أبياته، وهي موجودة عندي، ولي عليها - إن شاء الله - إضافة ضافية.

حياته العلمية:

لقد كان للشيخ -رحمه الله- أكبر الأثر في مجتمعه، فإذا ذكر التعليم فهو رائده، وإن ذكر القضاء فهو أستاذ القضاة ومخرجهم في مدرسته، وإن ذكرت الفتوى فإليه مرجعها، وإذا ذكرت الدعوة فهو المتابع الحريص عليها، وإذا ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فهو ذو المواقف، وهو المؤيد له الباذل من أجله ما يمكنه، وهو المرجع فيه.

ولقد ولي الشيخ مناصب شرعية متنوعة، وكان يعد الدخول في الوظائف الشرعية الحكومية من التعاون على البر والتقوى، والتعاون متعين، ولهذا كان الشيخ ذا مناصب كثيرة أقضت مضجعه وأذهبت راحته، يعرف ذلك من كان قريبًا، لأن الوظيفة الشرعية تكليف وأمانة، والسؤال عنها غدًا عظيم.

وعلى العموم كانت الأمور الشرعية، والإدارات الدينية تابعة له، وكان هو المشرف عليها، المسئول عنها، في الداخل والخارج.

فمن الوظائف الشرعية التي كان هو المرجع فيها والرئيس لها:

١- رئاسة دار الإفتاء.

٢- رئاسة القضاة (وزارة العدل حاليًا) وتميز الأحكام (هيئة التمييز).

٣- رئاسة الكليات والمعاهد العلمية (جامعة الإمام محمد بن سعود حاليًا).

٤- رئاسة الجامعة الإسلامية، وكان نائبه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز.

٥- رئاسة تعليم البنات، أو الإشراف على الرئاسة.
٦- رئاسة المجلس الأعلى لرابطة العالم الإسلامي.
٧- رئاسة المعهد العالي للقضاء.
٨- رئاسة دور الأيتام (ضمت إلى وزارة العمل والشئون الاجتماعية).
٩- الإشراف على نشر الدعوة الإسلامية في أفريقيا.
١٠- خطابة الجامع الكبير والعيدين، وإمامة مسجد الشيخ عبدالله.
١١- رئاسة مؤسسة الدعوة الإسلامية الصحفية، التي تصدر جريدة الدعوة فيما مضى ومجلة الدعوة حالياً.

إلى غير ذلك من الوظائف والأعمال الدينية التي حملها بعده بضعة عشر رجلاً.

تأسيس الدوائر الشرعية، وأثره فيها:

١- في عام ١٣٦٩هـ كثرت حاجة البلاد للقضاة، وقد أبدى جلالة الملك عبدالعزيز -رحمه الله- للشيخ محمد بن إبراهيم الأمر، وعرض عليه ما تلقى البلاد من مشقة لقلة القضاة، فأشار الشيخ بافتتاح معهد علمي يكون أول السبيل إلى سلم علمي يخرج القضاة، فوافق الملك.

فافتتح أول معهد علمي بالرياض سنة ١٣٧٠هـ، وكانت بعده معاهد كثيرة أصبحت ممدًة لكليات الشريعة التي تخرج القضاة، وهذه كانت نواة جامعة الإمام حالياً، وكان أمر المعاهد والكليات الأول الاهتمام بعلوم الشريعة واللغة لا غير.

وكانت رئاسة المعاهد للشيخ محمد، وبعد المعهد افتتحت كلية الشريعة بالرياض سنة ١٣٧٣هـ، وكان نائب الرئيس هو الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم -رحمه الله-.

٢- احتيج إلى إنشاء رئاسة للقضاة يرجعون إليها في وظائفهم، ومطالبهم وتنظيم

المعاملات حتى يكون القضاء في بنيته التنظيمية في أعلى المراتب الإدارية.
فأُنشئَت رئاسة القضاة سنة ١٣٧٦هـ، وتولى الشيخ رئاستها بأمر من الملك سعود -رحمه الله- وكان الشيخ رئيسًا للقضاة في مناطق: نجد والشرقية والشمالية، وأما المنطقة الغربية فكان برأس القضاة فيها سماحة الشيخ عبدالله ابن حسن -رحمه الله-.
وبعد وفاة الشيخ عبدالله سنة ١٣٧٨هـ ضم قضاة المنطقة الغربية إلى رئاسة القضاة في نجد، فصار الشيخ رئيسًا للقضاة في المملكة.
ومما يتصل بذلك جهود الشيخ -رحمه الله- في تمييز الأحكام الصادرة من القضاة، فكان هو المرجع في تمييز الأحكام والصكوك من وقت الملك عبدالعزيز، وكان للشيخ الأثر الكبير في تنمية (التمييز) وتقويته حتى وصل إلى ما وصل إليه.

٣- دار الإفتاء: لأجل تنظيم الفتاوى، وترتيب الاستفتاءات الموجهة إلى الشيخ وتنظيم ذلك فيما يتصل بالداخل والخارج أنشئت دار الإفتاء سنة ١٣٧٣هـ وذلك لما لم يعد مكتب الشيخ المنزلي كافيًا في متابعة كل الرسائل والاستفتاءات والبحوث المستجدة.
وكان من الأعمال المنوطة بها: إصدار الفتاوى، والدعوة في الداخل والخارج، وتوزيع الكتب وإمداد طلبة العلم بما يحتاجونه، وإعداد البحوث الخاصة بمسائل نازلة، أو ردود على مخالفين للسنة ونحو ذلك.
وقد أدخل الشيخ عددًا من طلبته الشيوخ ليساعدوه، ولكي يكونوا من أهل الخبرة في الفتوى والإجابة؛ لأنها تحتاج إلى دربة وتعلم.

منهجه في الإفتاء:

١- كان الشيخ -رحمه الله- ملتزمًا في الفتوى بما عليه الراجح من الأقوال عن الإمام أحمد -رحمه الله-، وسواء كان هذا مذهبًا للمتأخرين أم لا، إلا أنه في

الغالب يوافق ما عليه المتأخرون، وكثيراً ما يرجح اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه العلامة ابن القيم - رحمهما الله-، وما عليه الترجيح عند أئمة هذه الدعوة من الإمام محمد بن عبدالوهاب وأبنائه وتلامذتهم.

وهذا يجعل الناس على منهج متحد، وفي فتاوى غير متضاربة، وجمع الناس وعدم اختلافهم مصلحة عظمى، خاصة إذا علم أن البلاد مسرح للأهواء، فالاختلاف في الفتوى سيتبعه تفرق في أنواع شتى.

٢- لم يكن يسمح لكل أحد من واعظ وخطيب وإمام ومتخرج في الفتوى؛ بل الفتوى منحصرة في الشيخ - رحمه الله- ومن كان معه، والقضاة في البلاد، ومن كان معروفاً بسعة العلم ممن لم يكن قاضياً.

وقد كان يعاقب ويعزر بعض المتجرئين على الفتوى، أو المخالفين لمشهور الفتوى.

جهاد الشيخ في الدعوة إلى الله:

١- لقد ابتدأ الشيخ حياة الداعية شاباً، وذلك حينما أرسله الملك عبدالعزيز -رحمه الله- إلى (الغطغط)، وكانت مجمعاً للإخوان الذين جاهدوا مع الملك، وصار عندهم اجتهادات خالفوا فيها العلماء ونظرات تجاوزوا فيها، فكان من الحق الذي لهم أن يبعث إليهم عالم داعية، يحسن الدعوة وقدمه راسخة في العلم، لعل الحجة تنفع، ولعلّ الدعوة تنجع.

كانت رحلته دعوية، إرشادية، قضائية، وذلك سنة ١٣٥٤هـ، فمكث ستة أشهر وصاحبه فيها أخوه الأصغر الشيخ عبدالملك بن إبراهيم -رحمه الله- كاتباً ومرافقاً وحمل معه كتباً للمطالعة والمراجعة، فشرح للإخوان أصول التوحيد وضوابط التكفير، وبين لهم عبارات أئمة الدعوة وفسرها واحتج بالنصوص الشرعية، وقعّد ودلّل، وشرح لهم الآيات والأحاديث فأفادهم علماً وعملاً.

لكن - ولله الأمر - بثّت فيهم روح الشقاق، وعدم القناعة بكلام أهل العلم، فبلغ الشيخ أنهم يكيدون له، فأمر بتجهيز مطيته، وحمل عليها كتبه ليلاً وما خف من متاعه ثم تركهم عائدًا إلى الرياض.

٢- كان الشيخ شديد الحرص على العناية بالدعاة، فمن أبرز تلامذته الدعاة الشيخ عبدالله القرعاوي، كان داعية موفقًا، انتقل إلى منطقة جازان فأثر في أهلها، فجعلهم متعلمين، وأكثر استقامة واهتداءً، بث فيهم منارات العلم وهي مدارس القرآن، وكان الشيخ سندًا له في ذلك عند ولاة الأمور، حتى إنه يسلم المال المخصص للمدارس بيده، ولا يرجع فيه ولا إثبات بنوع مصروفاته، وبهذه الثقة التي منبعها الاستقامة والتدين انطلق الداعية، وكان يختلف إلى الرياض شارحًا للشيخ ما قام به من عمل وما تم من إنجاز مبينًا أحوال أهل الجنوب وقربهم من الخير، وسرعة انتشار الدعوة فيهم، وهذه النهضة في جازان اليوم من أثر تلك الدعوة فيها.

٣- حرصه على لقاء الدعاة في الأقطار في مواسم الحج، واستضافة بعضهم، ومتابعة نشاطاتهم، وكان يحرص على دعاة التوحيد والسنة، ويتعاهدهم بتوجيهه ورأيه فيما ينبغي أن يعملوه أو يخططوه لمستقبل الدعوة.

٤- اهتمامه برابطة العالم الإسلامي - وكان رئيسًا لمجلسها الأعلى -، وما ينبغي أن توجه جهود علماء المسلمين إليه في اجتماعاتهم، ففي رسالة بين بها الأمور التي يجب عقد المجالس والاجتماعات لها، قال:

" إنما الهـام هو النظر في الأصـول العظام التي الإخـلال بهـا هادم للدين من أساسه، وذلك: مسائل توحيد الله بإثبات ما أثبت لنفسه في كتابه، وأثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم من الأسماء والصفات: إثباتًا بلا تمثيل وتنزيهًا بلا تعطيل.

وكذلك توحيد الألوهية، وتوحيد الربوبية.

وكـذلك توحيـد الاتبّـاع، والحكم بين الناس عند النزاع، بأن لا يحكّم إلا

الكتاب والسنة، ولا يحكم إلا بهما، وهذا هو مضمون الشهادتين اللتين هم أساس الملة، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، بأن لا يعبد إلا الله، ولا يعبد إلا بما شرعه رسوله صلى الله عليه وسلم، وأن لا يحكم عند النزاع إلا بما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم، هذا هو الحقيق بأن يهتم به، وتعقد المجالس والمجتمعات لتحقيقه وتطبيقه " اهـ.

٥- وكان الشيخ -رحمه الله- رئيسًا للمعهد الإسلامي في نيجيريا، وكان هو المشرف على نشر الدعوة في أفريقيا.

٦- كانت المراكز الإسلامية في أوربا ترسل إليه بمشكلاتها، وهو يتابع النشاطات فيها، فمما جاء في ذلك مما ضمته (الفتاوى) قال الشيخ -رحمه الله-: "الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد؛ فقد اتصل بي الحاج السيد جواد مقدس رئيس جمعية مسلمي بريستول بإنجلترا، ومعه كتاب من سكرتير الجمعية يعرف فيه بالسيد جواد المذكور وقد شرح لي نشاط الجمعية المذكورة في الدعوة الإسلامية، وطلب مني إعطاءه بعض الكتب، وقد أعطيناه بعض الكتب الإسلامية والسلفية.

.. كما طلب أيضًا الإذن له في تعليم القرآن، ونشر العلم في تلك الربوع وأذنا له في ذلك أيضًا، سائلاً الله لي وله التوفيق والسداد، (التوقيع) مفتي المملكة العربية السعودية ".

٧- إنشاء مؤسسة صحفية تقوم بواجب الدعوة، وقد أصدر الشيخ -رحمه الله- كتابًا مؤرخًا في الثالث والعشرين من رجب سنة ١٣٨٤هـ جاء فيه:

" نظرًا لحالة المسلمين الحاضرة، وحاجة الأمة إلى الدعوة الإسلامية فقد قمنا بتأسيس مؤسسة للدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، لتأخذ بأيدي الشباب المسلم عن الوقوع في شراك المبادئ الهدامة والأفكار المسمومة، ولتبين للناس محاسن الإسلام، وصلاحيته لمعالجة جميع المشاكل في كل زمان ومكان.

ولما كانت الصحافة لها أثرها الكبير في عصرنا الحاضر، فقد تقرر أن يصدر عن هذه المؤسسة الصحفية صحيفة يومية تصدر أسبوعياً مؤقتًا، ومجلة شهرية علاوة على ما نؤمله في المستقبل القريب -إن شاء الله- من قيام هذه المؤسسة بإرسال الدعاة إلى الله في أنحاء العالم.

ولما كان وجود أصحاب السماحة والفضيلة أعضاء المجلس التأسيسي بمكة فرصة نادرة بالنسبة للدعوة الإسلامية أحببت أن أخبرهم عن هذه المؤسسة وأهدافها، راجيًا منهم مساعدتها بإرسال المقالات النافعة والآراء السديدة نحو هذه المؤسسة، وسوف يصدر العدد الأول من الصحيفة قريبًا - بإذن الله - ويصل إلى حضراتكم مجانًا.

وعنوان المؤسسة المذكورة كالآتي، (مؤسسة الدعوة الإسلامية) شارع أحمد بن حنبل - الرياض " اهـ.

ولقد كان الشيخ في دعوته إلى الله متبعًا أصول دعوة الإمام المجدد الشيخ محمد ابن عبدالوهاب -رحمه الله- من تأصيل التوحيد في النفوس، والنهي عن الشرك، والحث على الالتزام بالسنة، ونبذ البدع، والدعوة إلى تحكيم الشريعة الإسلامية في جميع الشئون، وإلى تربية النفوس وتزكيتها بالعمل الصالح والاتباع لسلف الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على قاعدة تحقيق المصلحة ودرء المفسدة، والالتزام بنصرة ولاة الأمر الكرام من آل سعود الذين نصروا الدعوة، وطبقوا الشريعة.

ثناء العلماء والأدباء والمثقفين عليه:

لقد كان الشيخ -رحمه الله- مجمعًا على الثناء عليه - فيما أعلم - وائتلفت القلوب على محبته، لما كان عليه من إيمان صادق - ولا نزكي على الله أحدًا -، وجهاد وتعليم، وتقوى، وقيادة.. إلى غير ذلك من سجاياه وأخلاقه.

وأذكر هنا بعض ما وقفت عليه من ثناء العلماء عليه مما لا أعلمه قد نشر من قبل:

١- قال سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - يحفظه الله -:

" لقد أكرمني الله سبحانه وتفضل علي -وله الحمد والمنة- بأن كنت من أخص تلاميذ شيخنا المذكور ولازمته نحو عشر سنين من عام ١٣٤٧هـ إلى عام ١٣٥٧هـ، ثم تعينت في القضاء بعد ذلك، ولكني لم أنقطع عن الاتصال به وسؤاله عن كل ما يشكل، والاستفادة من علومه وتوجيهاته إلى أن توفي -رحمه الله-.

وقد حضرت له مواقف مشرفة، وشاهدت منه أعمالاً موفقة في نفع المسلمين، والغيرة للإسلام، والرد على خصومه أجزل الله له المثوبة.

وكان يوصي الطلبة كثيراً بالدعوة إلى الله، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، وكان واسع العلم كثير الخوف من الله سبحانه، دقيق الفهم... ومناقبه كثيرة جداً " اهـ.

٢- وقال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي -رحمه الله-:

" عرفنا فيه وفور العلم ووفور العقل وتمام الحكمة والصبر المنقطع النظير، فهو - رحمه الله- فيما أعتقد وأجزم به - وإن كنت لا أزكي على الله أحداً - من نوادر الرجال الذين عرفناهم علماً وحلماً وعقلاً وحكمة، فنرجو الله أن يتقبل منه صالح عمله، وأن يجزيه كل خير، ويعلي درجته في الآخرة كما أعلاها في الدنيا ﴿وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلاً﴾ ... " اهـ.

٣- وقال الشيخ سعدي ياسين -رحمه الله-:

" أما سماحة مفتينا الفقيد - تغمده الله برحمته- فقد سلك مسلك أئمتنا الأعلام من علماء السلف فكنت وأنا أسمع فتواه تلك كأني أستمع إلى سفيان بن عيينة أو ابن علية أو ابن أبي ذئب..

وكان - رحمه الله - متين الحفظ مستحضر الآيات لا يكاد يشتبه عليه شيء منه... ولقد رأيته عن كثب بعبادته وأذكاره في ليله ونهاره، وحرصه على حضور الجمعة والجماعة، وإخباته قبل الفجر وبعده مما حببه إلي وأكبره في نظري... إلخ ".

٤- وقد حلاّه الدكتور تقي الدين الهلالي - رحمه الله - بقوله:

" الإمام العلامة بقية السلف وعمدة الخلف ناصر السنة الأستاذ الشيخ محمد ابن إبراهيم آل الشيخ . . . " .

وفاته - والمراثي:

في عام ١٣٨٩هـ أو في أواخر الذي قبله بدأ الشيخ - رحمه الله- مرضٌ عضال، فسافر للاستشفاء إلى (لندن)، ولم ينتفع بالعلاج هناك، وحدثني بعض مرافقيه أنه في آخر أيامه في المستشفى قبل رجوعه إلى (الرياض) كره الطعام، فقدم له كأس لبن فطعمه ثم تركه فقال له من حدثني: إنه زين وطيب، فقال الشيخ -رحمه الله-: صحيح، ولكن ليس بزين للميت.

ورجع إلى الرياض فلازم الفراش ولسانه يلهج بذكر الله والثناء عليه، لا يفتر عن ذلك حتى تم أجله وفاضت روحه في صبيحة يوم الأربعاء ٢٤ من رمضان سنة ١٣٨٩هـ.

وكان المصاب عظيمًا، وصُلّيَ عليه ظهر ذلك اليوم، وكان إمام المسلمين في الصلاة عليه تلميذه سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز.

ولما تسامع الناس الخبر، تصدعت الأفئدة، ونكست الأذقان، فكم من دمعة ترقرقت، وكم من حزن قضى، وكم وكم، ولكن إنا لله وإنا إليه راجعون.

فلما سير بجنازته تذكر المتذكر جنازة الإمام أحمد بن حنبل أو ابن تيمية من ذوي الجنائز المشهودة، فلا تحصي الألسنة المترحمة عليه والمستغفرة له وبالها من غبطة (أنتم شهداء الله في أرضه).

ولقد تتابع الناس من أنحاء المملكة يفدون بأنفسهم يعزون، ويستغفرون ويشهدون للفقيد بالإحسان.

وتتابع ذوو الأقلام يرثون إمام وقته، فكم من عالم نثر رثاءه، وكم من عالم نظم رثاءه، وكم من مثقف كتب، وكم من عاقل سطّر، والعجز عن وصف المشاعر

سمة الجميع، فجزاهم الله خيراً.

وليس هذا المقام الموجز مقام تفصيل لتلك المراثي، وبيان ما كتب عنه.

رحمه الله رحمة واسعة، وجعل مثواه جنانه، مع الحبيب المصطفى، وأصلح وبارك ونفع بولده من بعده، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

